الدليل الرابع: الدليل الوجودي

ويسمى برهان الاستعلاء والاستكمال، أو برهان المثل الأعلى.

وقد صاغه القديس أنسلم في صورته الأولى، وقد صدر عن مبدأ معترَف به من المؤمنين والملحدين جميعاً، وهو: أن فكرة الإله موجودة في العقول، فالملحدون لا يجحدون تصورهم للألوهية، وإنما يجحدون وجود الإله.

ونقح هذا الدليل اللاحقون بانسلم، حتى بلغ كماله في فلسفة ديكارت، وأوشك أن ينسب إليه، وفحواه في صورته الجامعة:

أن العقل الإنساني كلما تصور شيئاً عظيماً، تصور ما هو أعظم منه، لأن الوقوف عند مرتبة قاصرة يحتاج إلى سبب، والعقل الإنساني لا يعرف سبب القصور، فما من شيء كامل إلا والعقل الإنساني متطلع إلى أكمل منه، ثم أكمل منه، إلى نهاية النهايات، وهي غاية الكمال المطلق التي لا مزيد عليها ولا نقص فيها. وهذا الموجود الكامل موجود لا محالة، لأن وجوده في التصور أقل من وجوده في الحقيقة، فهو في الحقيقة موجود، لأن الكمال المطلق ينتفي عنه بسبب عدم وجوده، ولا يبقى له شيء من الكمال، بل نقص مطلق، هو عدم الوجود. فمجرد تصور هذا الكمال مثبت لوجوده[1].

❀ ❀ ❀

الدليل الخامس: الدليل الأخلاقي

وقد صاغ هذا الدليل الفيلسوف الألماني كنت. وصورته هي:

أن علامة الوازع الأخلاقي، أو علامة الواجب، أو علامة الضمير، لا توجد في النفس الإنسانية بغير وجود إله، إذ كيف يدين الإنسان نفسه بالحق، إن لم يكن في الكون قسطاس للحق يغرس في نفسه هذا الوجود؟ وكيف تقر في طبع الإنسان، أن الواجب الكريه لديه أولى به من إطاعة الهوى المحبّب إليه، وإن لم يطلع على دخيلة سره أحد؟

---

(١) الله ـ العقاد ص٢٠٠ وانظر دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية وقد عرض لرأي أنسلم وديكارت وسبينوزا وآراء غيرهم فيه ص١٧٠ ـ ١٧٤.

فإن قيل: إن العادة الاجتماعية هي التي رسخت في النفس، حتى استحالت إلى رغبة مقبولة، أجيب:

بأنّ معرفة السبب لا تقضي بإبطال الغاية أو بفقدان الحكمة، فنحن نعلم أنّ القطار يتحرك بغليان المرجل فيه. وأن المهندس قد مد قضبانه لأنه يكافأ على مدها بأجر يحتاج إليه. وأن نُظّار المحطات يسيِّرون حركة القطار، لأنهم مجزيون على ذلك، أو معاقبون على إهماله.

ولكن ذلك كله لا يبطل الغاية، ولا يقضي بمسير القطار لغير حكمة، وقيام العمل كله بغير تدبير[1].

❋ ❋ ❋

المصادفة

قالوا: إن المصادفة هي التي أوجدت، ودبرت ما في الكون على هذا الشكل.

والجواب: لا بد من التفريق بين أمرين:

أولهما: خلق الشيء: وفكرة المصادفة تستبعد منه، لأنه يؤدي إلى الدور الباطل كما تقدم.

ثانيهما: ترتيب الشيء وتركيبه: وهي محل النظر والبحث.

صيغة قانون المصادفة الحرفية هي:

(أن حظ المصادفة من الاعتبار يزداد وينقص، بنسبة معكوسة مع عدد الإمكانات المتكافئة المزدحمة).

لكن تطبيق هذا القانون، إنما يتم على المادة غير الحية، فدراسة الاحتمال على ضغط غاز في وعاء أو خليط من غازات قد يصح، ولكن على الخلية والأحياء الأخرى فإنه يقف، لأن الترابط في الخلية مع ظاهرة الحياة مُعْجِز ومحيِّر، إلى حد يجعل هذا القانون غير ساري المفعول في هذا المجال[2].

ولكي نفهم هذا القانون وعدم سريانه لا بد من أمثلة منها:

---

(١) انظر (الله) للعقاد ص٢٠٠ ـ ٢٠١ وانظر تفصيل هذا القول في دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ص١٨٣ ـ ١٨٦.

(٢) الطب محراب الإيمان ص١٤.

١ ـ يقول الأستاذ كريسي موريسون: ضع عشرة بنسات مرقمة من ١ ـ ١٠ في كيس وابدأ بسحبها، ترى أن:

فرصة سحب رقم ١ هي بنسبة ١ إلى ١٠، لأن كل رقم قد يكون له الحظ بالسحب.

وفرصة سحب رقم ١ و٢ متتابعين هي بنسبة ١ إلى ١٠٠.

وفرصة سحب رقم ١ و٢ و٣ متتابعات هي بنسبة ١ إلى ١٠٠٠.

وفرصة سحب رقم ١ و٢ و٣ و٤ متتالية هي بنسبة ١ إلى ١٠٠٠٠.

وهكذا... حتى تصبح فرصة سحب الأرقام من ١ إلى ١٠ متوالية، هي بنسبة ١ إلى ١٠ مليارات[١].

٢ ـ لو فرضنا أنك تملك عدداً هائلاً من الحروف، إذا حاولتَ آلاف المرات سحب حرف بعد حرف من هذه المجاميع الكبيرة، وسطّرتها واحداً بعد الآخر، فهل يظهر لك، مهما كررت عملية السحب ديوان المتنبي أو إلياذة هوميروس أو القرآن الكريم...؟

٣ ـ يقول الأستاذ فرانك ألن: البروتينات من المركبات الأساسية في جميع الخلايا الحية. تتكون من خمسة عناصر هي: الكربون والأيدروجين والنيتروجين والأوكسجين والكبريت.

ويبلغ عدد الذرات في الجزيء البروتيني الواحد ٤٠,٠٠٠ ذرة، ولما كان عدد العناصر الكيماوية في الطبيعة ٩٢ عنصراً، موزعة كلها توزيعاً عشوائياً، فإن احتمال اجتماع هذه العناصر الخمسة، لكي تكون جزيئاً من جزيئات البروتين، يمكن حسابه، لمعرفة كمية المادة التي ينبغي أن تُخلط خلطاً مستمراً، لكي تؤلف هذا الجزيء، ثم لمعرفة طول الفترة الزمنية اللازمة، لكي يحدث هذا الاجتماع بين ذرات الجزيء الواحد.

وقد قام العالم الرياضي السويسري تشارلز يوجين جاي بحساب هذه العوامل جيداً، فوجد:

أن الفرصة لا تتهيأ عن طريق المصادفة لتكوين جزيء بروتيني واحد، إلا بنسبة ١ إلى (١٠)^{١٦٠} (أي بنسبة ١ إلى رقم ١٠ مضروباً في نفسه ١٦٠ مرة) وهو رقم لا يمكن النطق به أو التعبير عنه بكلمات.

---

(١) العلم يدعو للإيمان ص٥١، والمصدر السابق ص١٥.